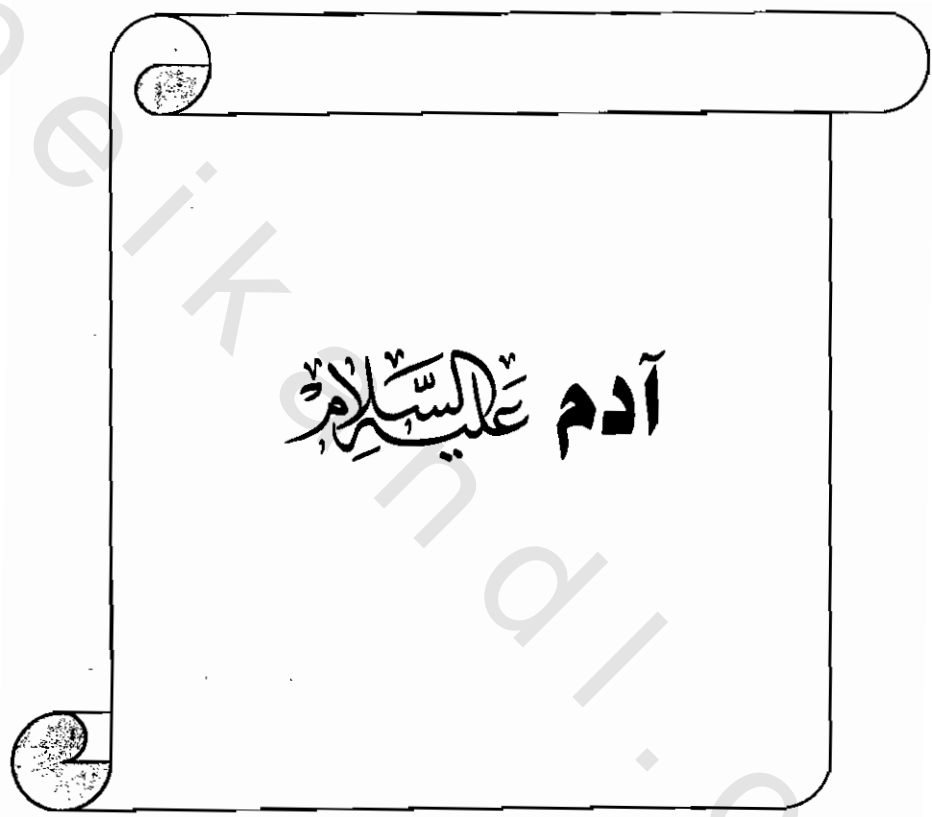

obeikandl.com

obeikandl.com

آدم عليه السلام

آدم هو أبونا وأبو الخلق جميعهم، وهو أول مخلوق إنساني خَلَقَه الله سبحانه، وهو أول الجنس البشري، ومنه ومن زوجه خَلَقَ الله بنيه الذين عَمَّروا الأرض من بعده، وهو نبي قد اصطفاه الله واجتباه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣].

خلق الله آدم بيده:

تبدأ قصة خلق آدم عليه السلام عندما جمع الله سبحانه وتعالى الملائكة وأخبرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة هو آدم وذريَّته، وأنه سيمكنهم في الأرض؛ فقالت الملائكة سائلين ـ على وجه الاستعلام لا على وجه الاعتراض والتنقُّص لبني آدم ـ: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

فردَّ الله سبحانه عليهم وقال لهم: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ لأنه سيكون منهم الأنبياء والمرسلون والصدِّيقون والشهداء.

وهنا خَلَقَ الله سبحانه وتعالى آدم بيده مباشرة، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [ص: ٧٢]، أخذ الله سبحانه من تراب الأرض قبضة فخلق منها آدم، ثم بلّها الله تعالى بالماء

فصارت صلصالاً (طين متحجِّر)، وصوَّره وجعل طوله ستين ذراعاً، كما أخبرنا رسول الله ﷺ حيث قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريَّتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة**»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لما نُفخ في آدم الروح مارت وطارت، فصارت في رأسه، فعطس فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال الله: يرحمك الله**»(٤).

ولهذا قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «إن الله لم يخلق بيده

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٢٦)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٨٤١).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٧٨٩)، والنسائي في «سننه»: (١١٠١٠).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٥٠٤)، ومسلم في «صحيحه»: (٨٥٤).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤/٢٦٣)، وابن حبان في «الموارد»: (٢٠٨١).

إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده».

سجود الملائكة لآدم وامتناع إبليس:

بعد أن خَلَق الله سبحانه آدم ونفخ فيه من روحه، أَمَرَ الملائكة بتكريم آدم بأن يسجدوا له سجود تكريم لا سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله سبحانه، وهنا استجاب الملائكة إلى أمر الله، باستثناء إبليس الذي أبى أن يسجد استكباراً وحسداً، ولقد سأله الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

احتجَّ إبليس بأنه أفضل من آدم، فهو قد خُلِق من نار، بينما آدم خُلِق من طين، والنار في رأيه أفضل من الطين، وهنا تكبَّر ولم يستجب لأمر الله؛ فطرده الله من الجنة، ولَعَنَه إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٣ ـ ٧٨].

آدم عليه السلام مُعلِّم الملائكة:

من فضل الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام أن عَلَّمه الأسماء كلها الموجودة في جنة عدن، وألهمه القدرة على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع وأشجار وثمار وحيوان، ثم أراد الله بعد

ذلك أن يبيِّن للملائكة أن هذا المخلوق خير منهم؛ فعرض هذه المسميات على الملائكة، وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: ٣١]، فعجزت الملائكة عليهم السلام عن معرفة هذه المسميات، وقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: ٣٣].

فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ ففعل آدم عليه السلام، وعلَّم الأسماء كلها للملائكة، وهنا قال الله للملائكة: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: ٣٣].

وبهذا أثبت الله سبحانه وتعالى للملائكة أن هذا المخلوق الجديد الذي صغَّروا من شأنه هو أكثر مهم علماً وأوسع معرفة.

حواء عليها السلام كيف خُلقت؟

لمَّا خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير، فلمَّا استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها: من أنتِ؟

قالت: امرأة.

قال آدم: لماذا خلقتِ؟

قالت: لتسكن إلي... فمال إليها وألفها؛ لأنها خُلِقَت منه[1].

---

(١) «معاني التنزيل»، الإمام الخازن. (بتصرف).

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وقال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً؛ فإنهن خُلِقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج**»(١).

وقد أخذ أحد الشعراء هذا المعنى فصاغه شعراً فقال:

هي الضلعُ العوجاء لست تقيمها
ألا إن تقويم الضُّلوع انكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى
أليس عجباً ضعفُها واقتدارها؟

خُلِقت حواء عليها السلام قبل دخول آدم الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وسميت حواء؛ لأنها خُلِقت من حي.

آدم وحواء في الجنة:

أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة، وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عيَّنها لهما، وقال له ولزوجته: إن الشيطان عدو لكما فاحذراه، فلا يخرجنكما من الجنة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧]، وقال الله لآدم في تمتيعه بهذه الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٥١٨٥).

﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

إغواء إبليس لآدم:

عاش آدم وحواء في الجنة ينعمان بنعيمها ويأكلان من ثمرها، ولكن ماذا فعل الشيطان؟

جاء إبليس اللعين إلى آدم وحواء ووسوس لهما بالأكل من الشجرة لإغرائهما، وقال لهما: إن ربكما نهاكما عن الأكل من هذه الشجرة حتى لا تكونا من الملائكة أو تكونا خالدين، وقال لآدم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠] أي: هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، وظللت في ملك لا يبيد ولا ينقضي؟

وهنا نسي آدم وحواء أن إبليس هو عدوهما، واستجابا لإغرائه، وأكلا من الشجرة، فلمَّا ذاقا طعمها؛ انكشفت لهما عوراتهما، (وكان قبل ذلك لا يرى كل منهما عورته ولا عورة الآخر)، فأخذا يجمعان بعض أوراق الشجر ليغطيا به ما انكشف، وجعلا ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر، وناداهما ربهما مؤنباً إياهما على ذنبهما، فقال: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وشعر آدم وحواء بذنبهما ومعصيتهما لله سبحانه؛ فندما أشد الندم، ورجعا إلى ربهما تائبين نادمين، وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣])[1].

---

(١) «قصص الأنبياء»، الحافظ ابن كثير. (بتصرف).

فأوقع الله في قلوبهما التوبة التامة والإنابة الصادقة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

فتقبل الله دعاءهما وتوبتهما؛ فتاب عليهما وغفر لهما.

إخراج آدم وحواء عليهما السلام من الجنة:

أخبر الله سبحانه آدم عليه السلام أنه سيكون بينه وبين إبليس عداوة لا تنتهي، وأنهم سيبقون في الأرض يعمرونها ويتمتعون فيها تمتعاً موقتاً إلى حين انتهاء آجالهم، ومن الأرض يخرجهم الله أحياء يوم القيامة للحساب والجزاء، فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٤].

كما أخبره الله سبحانه أنه سيمدهم بالهدى والرشاد، فمن تبع هدى الله فقد نال سعادة الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]، وقد اقتضت حكمة الله أن يأكل آدم من الشجرة، والله يعلم أنه آكل منها لا محالة؛ لأنه لابد وأن يسكن الأرض ويعمرها هو وذريته من بعده، ويجعل الله فيهم خيراً كثيراً، وعباداً صالحين وأنبياء ومرسلين.

حكمة آدم عليه السلام:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«قال موسى عليه السلام: **يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة. فأراه آدم عليه السلام.**

فقال موسى: أنت آدم؟

فقال آدم: نعم.

فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك الأسماء كلها؟

قال: نعم.

قال موسى: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟

فقال له آدم: مَن أنت؟

فقال: أنا موسى.

قال آدم: أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ أنت الذي كلَّمك الله من وراء الحجاب، فلَم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟

قال: نعم.

قال آدم: تلومني على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل؟!

قال رسول الله ﷺ: «فحجّ آدم موسى، فحجَّ آدم موسى»[1].

قابيل وهابيل:

وضعت حواء توأمين: قابيل وأخته، وهابيل وأخته، وقد كانت أخت قابيل أجمل من أخت هابيل، وعندما بلغ مبلغاً من العمر لم يجدوا من يختارون للزواج، وهنا صدر الأمر الإلهي بأن يتزوج أنثى البطن اللاحق من ذكر البطن السابق، فلا يحل للأخ أخذ أخته التي ولدت معه من بطن واحدة، وبذلك أصبحت أخت قابيل زوجة لهابيل، وبالعكس، فإن أخت هابيل أصبحت زوجة لقابيل.

---

(١) أخرجه أبوداود في «سننه»: (٤٧٠٢)، وأبويعلى في «المسند»: (٢٤٣).

وطلب آدم عليه السلام أولاده وأبلغهم الأمر، لكن قابيل لم يستجب لهذا الأمر، ولم ينزل على إرادة أبيه؛ لأن نصيبه أقل جمالاً من نصيب أخيه، وود لو تكون توأمته من نصيبه دون أخيه.

وهنا أمر آدم أولاده بأن يُحْضِرَ كل واحد منهما شيئاً عزيزاً من كدّه يقرّبه قرباناً ويضعه في مكان مرتفع لنرى أيكما يُقْبَل قربانه فسيحظى بالجميلة من البنات، وكان هابيل صاحب غنم، فأتى بأفضل كباشه، وكان قابيل فلاحاً فأتى بكمية رديئة من القمح، ثم تقدم كل منهما بقربانه إلى الله، وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه.

فنزلت النار على كبش هابيل فأحرقته، وتركت قربان قابيل.

فعلم قابيل أن الله قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقتله.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

ولقد كان هابيل أول مَن قُتِل على ظهر الأرض، وما عرف قابيل كيف يواري جثة أخيه، فحمله في جراب على ظهره، وظل حائراً، وقد لامته نفسه على فعلته، فبات معذباً.

وبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره، ووارى جثته تحت التراب، هنا استشعر قابيل الندم والحسرة

فقال: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]، ثم هرب إلى اليمن، وحزن آدم على هابيل، فمكث مائة سنة لا يضحك[١].

قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول (قابيل) كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سَنَّ القتل**»[٢].

وصية آدم عليه السلام قبل موته:

لمَّا حضرت الوفاة آدم عليه السلام دعا ولده شيث وقال: يا بني، إني مفارق هذه الدار، فانظر يا بني أن لا تفارق العروة الوثقى وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، سيد الأولين والآخرين والأنبياء والمرسلين، فإني رأيت ذلك مكتوباً على سرادق العرش وأبواب الجنة وأطباق السموات والأرض.

واعلم يا بني أن الله تعالى قابض روحي في الساعة التي خلقني فيها وهي أفضل ساعة في يوم الجمعة، فإذا كان ذلك الوقت فاخرج من القبلة ساعة واحدة واسمع تعزية الملائكة، فتفز يا بني بتعزية الملائكة.

واعلم يا بني أن الله سبحانه وتعالى يبعث لي أكفاناً من الجنة وحنوطاً، ويتولى أمري جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) «قصص الأنبياء»، الشعراوي. (بتصرف).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٣٥)، ومسلم في «صحيحه»: (١٦٧٧).

فانظر يا بني كيف يغسلني، فتعلم منه؛ فيكون سُنَّة لك ولأولادك من بعدك، وتصلي عليَّ الملائكة المقربون زمرة بعد زمرة، فإذا فرغوا من الصلاة فصلِّ أنت وتعمد قبري فألقي عليَّ السلام، ثم نزع خاتمه من إصبعه فدفعه إليه[١].

وفاة آدم عليه السلام:

قال أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «إن آدم لمَّا حضره الموت، قال لبنيه: أي بني، إني أشتهي من ثمار الجنة»، فذهبوا يطلبون له ما يشتهي، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم أدوات الدفن (المساحي والفؤوس والمكاتل).

فقالوا لهم: يا بني آدم، ما تريدون، وما تطلبون؟

قالوا: أبونا آدم مريض، واشتهى من ثمار الجنة.

فقالوا لهم: ارجعوا، فقد قضى أبوكم.

فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم.

فقال آدم: إليكِ عني، فإني إنَّما أتيت من قبلك، فخلي بيني وبين ملائكة ربي ـ عز وجل ـ.

فقبضوه وغسَّلوه وكفَّنوه، وحنَّطوه، وحفروا له، ولحَّدوه، وصلُّوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه التراب.

---

(١) «قصص ومواليد الأنبياء»، الإمام الكسائي.

ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سنَّتكم في موتاكم، وهذا سبيلكم[١].

واختلف العلماء في موضع دفنه، ولكن القول المشهور أنه عليه السلام دفن في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة، وتوفيت حواء بعد سنة من وفاته ودفنت إلى جانبه، وبعد طوفان نوح نقل قبر آدم بيت المقدس.

رحم الله آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما جنات النعيم.

* * *

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٣٤٤)، والطبراني في «الأوسط»: (٨٢٦١).

obeikandl.com